لبنان

إخاء بين المسيحية والإسلام

● يعتقد الاستعمار ان باستطاعته البقاء في لبنان مـــا دام فيه داء الطائفية ، ولذلك فهو يستخدمها في كل مناسبة للسيطرة .

● ان الدول الكبرى كانت تتقاسم الطوائف اللبنانية ، فهذه كانت تنعم بعطف فرنسا ، وتلك تساعدها بريطانيا ، والثالثة تنسجم مصالحها مع مصالح امريكا .

● حان الوقت لكي يعلم جميع المعنيين بأمر الطائفية ، ان المسيحيين ليسوا غرباء عن هذه الديار ، وان المسلمين ليسوا دخلاء عليها ، وان « استحالة الحيـــاة » بين هاتين الطائفتين في وطن واحد.. اصبحت نوعاً من «الخرافة» بفضل الوعي العربي .

السلم والسلام وكل ما يتفرع منهما ، ويجمّل الحياة بحقائقها وينسب اليهما : من المبادىء الاساسية التي قامت عليها رسالات السماء عامة ، وحملت لواءها المسيحية والاسلام بصفة خاصة .

فاما المسيحية فرسالتها الحب وطريقها الاخاء وغايتها السلام ، وشعارها المصوغ من هذه المثل الرفيعة : « المجد لله في الاعالي وبالناس المسرة وعلى الارض السلام » .

واما الاسلام فهو مرادف « السلام » وقرينه في الاشتقاق من مادة « سلم » وضريبه في امتاع الكون بالسلامة في الابدان والانفس والاموال .

من اجل ذلك كانت تحية ابناء الاسلام عند اللقاء « السلام » ووداعهم عند الفراق « السلام » واسم الله عندهم : السلام ، واقدس لياليهم ليلة القدر التي انزل فيها القرآن تميزت بالسلام « سلام هي حتى مطلع الفجر » .

فاذا كان هذا شأن الديانتين اللتين تنتسب اليهما الكثرة الغالبة من ابناء لبنان ، فكيف يعتبر التعايش السلمي بين اتباع دیانتي السلام قضية تحتاج الى اثبات ؟ أو مشكلة تتطلب العلاج ، او غاية يسعى اليها الاحرار والمنصفون من قادة الوعي في لبنان ؟

ان التعايش السلمي بيننا هو نتيجة حتمية لكوننا مسيحيين ومسلمين ، وهو الثمرة الطبيعية لانتسابنا الى المسيح ـ وهو رمز الحب والتسامح بين الناس سواء منهم المحبون والكارهون ـ والى محمد الذي يقول الكتاب الذي انزل عليه « ولا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » والتعايش السلمي بديهة من البساطة بحيث لا تتطلب ارادة بحث ولا تقليب رأي ، للوصول الى اتفاق عليها أو الالتقاء حولها ، وهو كذلك حقيقة واقعة تشكل الطبيعة الصحيحة التلقائية لحياتنا الاجتماعية ، كما يشكل الجريان طبيعة الماء ، والهبوب طبيعة الهواء ، والتنفس طبيعة الحياة في الانسان .

التعايش تجسيد لحقيقة قديمة :

ومع ان التعايش السلمي تعبير حديث ، فهو تجسيد لحقيقة قديمة اراد المستعمر ان يطمسها ويشوهها ، ليتاح له أن يتسلط وان يمد سيطرته ويوطد نفوذه .

فمنذ الرومان كانت القاعدة الاستعمارية « فرق تسد » هي « التكتيك » الناجح الذي يلجأ اليه المستعمرون لتحقيق النزاع بين طبقات الأمةومختلف فئاتها ، يضربون بعضهم ببعض ، ويحرضون هذه على تلك،ويثيرون المخاوف في صدر الواحدة تجاه الاخرى ليخلو لهم الجو ، وليـأمنوا اتحاد هذه الفئات جميعاً ووقوفها في وجه الدخيل واطماعه ، والطغيان الاجنبي وشروره .

وكلنا يعلم ان كثيراً من بلاد الله كانت ميداناً تطبيقياً لهذه القاعدة ، فالهند مثلا لم تعرف الاستقرار في عهودها الذليلة، لان الاستعمار حرّم عليها الاستقرار ؛ ولأن وسيلته الى غايته ، كانت في خلق نوع عنيف من الصراع المفتعل بين فئات الوطن الواحد بل على التحديد بين الهندوس والمسلمين .

الهندوسي يقدس البقرة ، والمسلم يعتبرهـا من الحيوانات التي خلقها الله لخدمة الانسان ، ورغم ذلك فان نوعاً من الاتفاق الضمني والتعايش السلمي كان قائماً بين التفكيرين ، فلا الهندوس يفرضون على المسلمين عبادة البقرة، ولا المسلمون يطلبون الى الهندوس ان يتنازلوا عن عقيدتهم ، باعتبار ان العقائد الدينية ليست الا جزءاً من حرية الفرد الشخصية وحرية تفكيره .

وعندما كانت الاصطدامات تقع بين المسلمين والهندوسيين، كان المستعمر حابك المؤامرات هو الذي يشعل نار الفتنةويحرك شيطانها،وهو الذي يفتعل السبب للالتحام، ليصرف المواطنين عن هدفهم الاصيل الذى يسعى اليه القـادة المخلصون .. الا وهو النضال الدائم المستمر لطرد الاجنبي وانتزاع جذور الاستعمار من ارضهم .

وكان هذا الدخيل ينبري حين تقع الواقعة ليذيع على الدنيا انباء الفتنة مكبرة مضخمة ، وليظهر للعالم ان الهند غير جديرة بالاستقلال ، وان وجوده فيها وبقاءه على ارضها ضرورة حيوية لاقامة السلم بين فئاتها ، وانه لولا تدخله لطغت فئة على اخرى وافنتها في حرب اهلية ضارية لا ترحم .

وكان بعض السذج يصدقون هذا المنطق ، ولكن الذين لم يكونوا يصدقونه هم الواعون المخلصون الذين آلوا على انفسهم ان يفضحوا الاستعمار ، وان يدحروه وان يفسدوا عليه خططه .

وبالفعل فلقد استمر نضالهم وامتد الى ان وجد الاستعمار نفسه عارياً من كل هيبة ؛ مجرداً من كل نفوذ ، والى ان تحقق ان اساليبه في تفريق الصفوف وتأريث الاحقاد، لا يمكن ان تحمي مصالحه ، فاضطر الى ان يغادر الهند وفي نفسه الحسرة والكمد ، وعلى مفرقه عار الزمن وسبة التاريخ .

تجربة الاستعمار في البلاد العربية :

لم تنج بلادنا العربية من ان تكون حقلا للتجزئة ، فالاستعمار اياه حاول خلال فترة طويلة من الزمن ان يزرع الفتنة في مصر ، كما حاول ان يحمل بذورها الشريرة الى سوريا ، ولكنه كان ينتهي دائمًا ذليلا مدحوراً ، تفضحه عيون الوطنية الساهرة وتكنّس آثاره طاقات الوعي التي تتفجر في دنيا العرب ، كلما طاب لمستعمر ان يتحدى ارادة شعبنا العربي ويتسلل الى صفوفه .

الطائفية سلاح الاستعمار :

واما لبنان فقد كان له النصيب الاوفى من دسائس المستعمر وفتنته ، وكانت الطائفية هي السلاح الذي يمتشقه في كل مناسبة ، بسبب تعدد ديانات سكان هذا

البلد واختلاف عقائده، وكان الطمع بلبنان يستند الى اسباب كثيرة ... اهمها ان هذه البقعة من الارض هي المنفذ الطبيعي لبقية البلاد العربية ، فالسيطرة على لبنان تسهل السيطرة على سورية والارن والعراق ، ومن هذه البلاد كلها يمكن السيطرة على مصر وقناة السويس .

كما ان الاستعمار بسبب تعدد الطوائف اللبنانية ،كان ومازال يعتقد انباستطاعته ان يلعب ورقة الطائفيـــة في اي وقت شاء ، ليحقق اطماعه في الاستيلاء على هذه المنطقة الستراتيجية .

ومن هنا نشأت فكرة الحياد الايجابي .. الفكرة التي تحقق للعرب كسبين عظيمين : الاول استقلال بلاد هذه المنطقة وسيادة شعوبها ، وباستقلالها وعدم سيطرة احد عليها يتحقق الكسب الثاني والاهم الا وهو السلام العالمي . وهكذا نجد ان دور العرب في اقرار السلام العالمي هو دور رئيسي ، وكلما قويت جبهة الحياد الايجابي في العالم كلما ابتعد شبح الحروب الذرية التي تهدد الانسانية بالدمار والفناء .

الدول الكبرى تتقاسم الطوائف :

ومن هنا ايضاً يتبين للمدقق اهمية الدور الذي يود الاستعمار ان يلعبه حـــين يحرك الطائفية ، ويستخدمها كسلاح فعال للسيطرة على لبنان . فهو يطلق الفتنة الطائفية حيناً بعد حين ، يطلقها بين المسيحيين والدروز وبين المسلمين والمسيحيين . حتى ليمكن القول ان الدول الكبرى كانت تتقسم الطوائف اللبنانيـــة ، ليجعل الاستعمار — وهو قاسمها المشترك الاعلى — من لبنان مناطق لنفوذه .

فهذه الطائفة مثلا ، تنعم بعطف فرنسا وتلك تساعدها بريطانيا وثالثة تنسجم مصالحها مع مصالح اميركا ، وهكذا دواليك حتى اصبحنا في وضع دقيق جداً ، فلا يكاد ينشب بين شخصين من طائفتين خلاف بسيط حتى يتعالى الصراخ من كل جانب وتكال التهم جزافاً للدولة والكيـــان بأمره ، وتعلو نغمه مقيتـــة تسبح بحمد الاستعمار وضرورة رجوعه للتهذيب والحماية ونشر الحضارة .

وهذا ما حدث فعلا في عام ١٨٤١ إذ تشاجر درزي من بعقلين مع مواطن من دير القمر ، فاذا ببريطانيا تهب لنصرة الدروز ، وإذا بفرنسا تتجند لحماية المسيحيين واذا بالعثمانيين يتجاذبون الفريقين حفظا لكرامتهم كحاكمين شرعيين للبلاد وصونا لنفوذهم الذي تهدده بريطانيا وفرنسا بتدخلها السافر .

وليس جديداً بأن نقول بأن فتنة ١٨٦٠ الدامية التي وصمت حقبة من تاريخنا بوصمة مفتعلة ، ليس جديداً ان نقول بأن هذه الفتنة كانت من نتائج الدس الاجنبي الذي كان يفتعل الحوادث ، ليتدخل او ليحمي بعضنـــا من البعض الآخر على حد زعمه .

الهررة الثلاث :

ومن سوء حظنا ان الطامع بنا ، ببلادنا الخيرة ، بثرواتنـــا ، كان اكثر من واحد ، فاذا بنا كقطعة لحم طرية يتنازعهـا ثلاث هررة : الفرنسيون والانكليز والاتراك ، كل منهم يطمع ان يسيطر على مواردنا ، وان يستثمر خيرات بلادنا ؛ وهكذا فما كان ينشب خلاف عادي في سنة ١٨٦٠ حتى هبوا جميعاً يتنازعون على الغنيمة ويقتتلون في سبيل التفرد بها . وليس ادل على ذلك من سلوك العثمانيين في بلادنا . فالاتراك كمسلمين دخلوا البلاد كما هو معروف لحماية فئة معينة ـ ان لم يكن ذلك ظاهرياً فعلى الاقل بصورة ضمنية ـ ولكنهم ما كادوا يمسكون بزمام الامور حتى اخذوا يحاربون الوعي وينشرون الجهالة ويسومون جميع الطوائف اشد انواع العذاب والتنكيل ، بما في ذلك المسلمين . ومن لايصدق فليسأل مشانق عاليه ، ومشانق بيروت ، وليستعرض اسماء الشهداء الذين علقهم السفاح التركي الغاشم ، وحينئذ تتجلى لعينيه حقيقة صارخة لايمكن نكرانها ابداً .. وهي ان عناصر هذا البلد وفئاته على اختلاف عقائدهم لاتنساق لمطامع الاجنبي ، ولا تؤخذ بألاعيبه وأكاذيبه . ان مشانق جمال باشا السفاح لم تقف ولم تعف عن عنق المسلم لانه مسلم ولم تشد عنق

المسيحي لانه مسيحي ، بل اطبقت على أعناق النخبة من شباب الامة الذين تجرأوا وطالبوا بالحرية لبلادهم وبالكرامة لوطنهم .

داء الطـائفية :

كما ان الدلالة التي تحملها تلك الكارثة دلالة عميقة المعنى تلقم كل مضلل حجراً وتبرهن بأن الطائفية لم تكن يوماً ما حاجزاً بين نضال المسلم ونضال اخيه المسيحي اي ان نضال المواطن لم يتجزأ يوماً ولم يتلون بلون الدين وانما كان نضالا مشتركاً ضد التحكم والتعسف والظلم والعدوان .

فداء الطائفية اذاً .. هذا المرض الخبيث الذي استشرى في جسم وطننا الحبيب واعيى علاجه نطس الطب وعلماء الاجتماع ، هو دخيل علينا ومستورد من الخارج ، ان التدين في بلادنا قديم ولكن الطائفية مستحدثة ، اننا في هذا الشرق حواريو الانبياء واتباع الاولياء ولكننا لم ننغمس في الحقد الديني الذي يدعى « الطائفية » الا حينما جرتنا اليه اساليب الاستعمار واحابيل المستعمرين .

لا طائفية في الدين ولا دين مع الطائفية . هذا هو المبدأ الذي يجب ان يعتنقه المسلمون والمسيحيون في لبنان ، لان الدين رحمـــة للعالمين وهدى للناس اجمعين وهو شمس الله التي تشرق على الجميع ، وغيث الله الذي يحيي موات الخير في قلوب الجميع ، وشتان بـــين الدين وبين الطائفية .

لقد نظر القرآن الكريم الى جميع الاديان السماوية نظرة تمجيد وتكريم وخص المسيحيين بالذات حينما قال : « ولتجـــدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون » .

ولو اننا رجعنـــا الى صفحات التاريخ ، وقلبنا سير تراجم اعلام المسيحيـــة والاسلام في العصور القديمـــة والحديثة لالفينا ميزة الحب والاخلاص والتسامح جلية واضحة بينهم في اقوالهم وافعالهم وسائر شؤون حياتهم .

فهذا الخليفة المتوكل على الله العباسي ، حينما اراد ان يستوثق من امانة الطبيب الكبير حنين بن اسحق ويختبر درجة اخلاصه قبل ان يقربه منه لينتفع بعلمه وخبرته ، راوده ان يضع له دواء مسموماً ليغتال به احد اعدائه السياسيين وقال له : يا حنين ، اني اريد ان اقتل عدوي هذا قتلا قاحلا من غير ان يدري بذلك احد ، فأتني بما تدبره له .

ولم يكن الطبيب يعلم ان هذه تجربة له ليستوثق من امانته واستقامته ، مخافة ان تلعب بعقل الطبيب رشوة اعداء الخليفة فيقتله غيلة ، ومع ذلك فقد اجابه الطبيب قائلا :

ايها الخليفة ، انني تعلمت من العلم ما طاب ونفع ، وما عدا ذلك لا علم لي منه ، فخيّره الخليفة بين امرين : هدية سنية ان لبى طلبه ، وان ابى فالسجن والموت ، فلم ينثن حنين عن عزمه ولبث في السجن حولا كاملا لم ينقطع خلاله عن التأليف والبحث .

ولما رأى الخليفة ان التهديد لا يؤثر في نفس ذلك الطبيب دعاه وقال له : يا حنين هدىء من روعك واطمئن الى نفسك ، فقد صرت على يقين من حسن طويتك وجعلتك طبيبي الخاص ، شريطة ان تخبرني عن سبب امتناعك عن تنفيذ ما اردت .

فقال الطبيب : انما كان ذلك لامرين : احدهما ديني فهو يمنعني عن كل ضرر ألحقه بأحد ولو كان عدوي ، وثانيهما صناعتي ، فلهما علي من الواجب ما يرغمني على فعل الخير بالناس .

وهذا الخليفة المعتضد العباسي يحاول ان يختبر مدى ايمان ابي قرة الصابئي وهل يبيع دينه بدنياه ، فعرض عليه أن يطعم مرة فولا ويأخذ الفي دينار ، ومن المعروف ان الصابئة تحرم أكل الفول فرفض الصابئي ذلك وقال له : لا والله يا

امير المؤمنين ، لا اطعمه ابداً ولو وزنت لي ملء هذه الحجرة ذهباً ، فكان بموقفه هذا محلاً لرعاية الخليفة المسلم وحبه واحترامه .

وهذا المنصور بن ابي عامر الملك الاندلسي ذو الايمان الصادق واليقين العظيم ، ما كاد يزور مدينة سانتياغا البورتغالية ، ويزور ضريح يعقوب تلميذ المسيح عليه السلام حتى لاحظ بجوار الضريح راهباً منقطعاً لخدمته والعناية بأمره ، فسر الخليفة المسلم كثيراً واعجبه من الراهب المسيحي ما رآه فيه من معالم الايمان والاخلاص ، فأغدق عليه عطاياه وبالغ في اكرامه .

ثم هذا الخليفة العباسي المعتصم يبكي ويطيل البكاء على طبيبه المسيحي المخلص سلمويه ، لما عرف عنه من الصدق في الدين والاخلاص في العقيدة والاستقامة في العمل ، ودفعه وفاؤه له وحبه اياه الى استشارته عن الشخص الذي يجدر ان يسند اليه عمله ، فقال له سلمويه : عليك بحنين بن ماسويه . ولما قضى سلمويه نحبه امر المعتصم ألا يدفن حتى يصلى عليه في قصره صلاة الجنازة حسب الطقوس المسيحية ، ثم تقبل المعتصم التعازي واحجم عن الطعام اياماً حداداً على صديقه وطبيبه سلمويه المسيحي .

أما الرحالة ابن جبير ، فانه يذكر لنا في رحلته ان غليوم الثاني ملك صقلية كان معجباً بايمان العلماء المسلمين وكبير اخلاصهم ، فاتخذهم مرافقين له يمهدون امامه طريق المعرفة ، ويدرسونه آداب اللغة العربية ، وكان يأتمنهم على كل خواصه حتى على طعامه وشرابه واسراره وقد نقش على خاتمه « الحمد لله وحده » .

ثم لم يكد ينتهي عهد الاتراك الاسود ، عهد الجوع والعري والتشرد ، عهد السفاح جمال ، حتى اطل علينا شبح استعمار جديد اخذ يتمركز في ربوعنا .

ارض العروبة مهبط الرسالتين :

انبرى المواطنون الاحرار ليقولوا للاستعمار ان افتراقنا في الدين الى مسلمين ومسيحيين، لا يمكن ان ينال من وحدة البلد العربي الذي نشترك في شرف الانتساب اليه، ونتقاسم خيره وامجاده في اخوة صادقة ووحدة وطنية شاملة . ذلك بأن ارض العروبة مهبط الرسالتين المسيحية والاسلامية هي وطننا جميعاً ، نلتقي في ظله ونتعاون على اسعاده ، ونسير جنباً الى جنب في الدفاع عن مقدراته ، وتتعانق أشلاؤنا إذا جد الجد في ساحة الفداء له .

وما كان اختلاف الدين بين ابناء البلد الواحد عامل هدم او توهين في كيانهم القومي ، متى استوفى مقوماته من اتحاد اللغة والجنس والأرض والمصالح والآلام والآمال .

ولقد قام الوطن العربي في ظل بطل العرب الاكبر محمد بن عبدالله صلوات الله عليه على اساس توافر هذه المقومات التي لم ينقص من اهميتها واثرها في تكوين الوحدة الوطنية ان يكون لابنائه يومئذ أكثر من دين .

نعم قامت دولة الاسلام — وان شئت قلت دولة العرب — الأولى في المدينة غب الهجرة ، فاذا دستورها المثالي كما تقرره صحيفة الموادعة بين المسلمين واليهود ، يبسط جناح الامن والسلام والاخاء على اهل المدن جميعاً بدرجة واحدة مساواة تامة في الحقوق والواجبات لا يُلمح فيها ظل للتفريق بين المسلم صاحب الاكثرية والرياسة ، بين اليهودي الذي يمثل الاقلية التابعة .

وبهذا نقدم الدليل الحاسم على ان الدولة التي تقوم على التعصب وتبني سياستها على الاهواء الطائفية ، تكون قد ندت عن الناموس الطبيعي في قيام الدول وخرّبت الاساس الصالح الذي يحفظ عليها عنصر البقاء والاستمرار .

ومن هذه المغالطات التي تخلق نشوء الامم كانت دولة اسرائيل كياناً مزيفاً لا يمكن ان يعيش لانـــه قام على اساس ديني عنصري ، على شتات من امم مختلفة لا تجمع بينها وحدة تاريخ ولا وحدة مصير .

وقال الوطنيون الشرفاء للاستعمار الفرنسي : ليس المسيحيون غرباء عن هذه الديار ، وليس المسلمون دخلاء على هـــذه البلاد ، واكتشف الاستعمار انـــه هو وحده الدخيل وانه هو وحـــده العلقة التي تمتص دماء الشعوب والحشرة النهمة التي تأكل خيرات الآخرين ، وكان عليه ان يرحـــل وكان علينا نحن ان ندفع ضريبة الدم من جديد .

وحصدنا رصاص المستعمر الفرنسي دون ان يفرق بين مسلم ومسيحي ، واختلط دماء شهدائنا في طرابلس وصيـــدا وفي بيروت ومختلف المدن اللبنانيـــة ، دماء مسيحية ومسلمة ، امتزجت لتصنع للبنان تاريخاً من العزة والكرامة والمجد : تاريخاً بريئاً من العنعنات الطائفية .. من هذا الطاعون الوافد الذي لا يمكن ان يعيش في ارضنا ابداً . وهكذا جمعنا النضال ضد المستعمر الفرنسي مرة ثانية بعد ما جمعتنا مشانق جمال باشا السفاح وكانت ثورة ١٩٤٣ التي سرنا في صفوفها مسيحيين ومسلمين ضد الاستعمار الفرنسي المسيحي مكملة لثورتنا ١٩١٦ ضد الاستعمار العثماني المسلم . وحمل الفرنسيون تاريخهم الاسود ورحلوا ، فهل انتهت فتن الاستعمار الطائفية في بلادنا ؟

لقد غادرتنا جيوش الاحتلال وانتهى بخروجها عهد الاستعباد ، اما المؤامرات فلم تنته ولكن الشيء الأكيد الراهن هو ان الطائفية لم تعد ابداً لسوء حظ المستعمرين السلاح الظافر او الورقة الرابحة .

محاولة اخيرة فاشلة :

لقد حاول المستعمر خلال فترة ما بعد الاستقلال ان يوقظ نار الفتنة اكثر من مرة ، ظناً منه ان اشعال نار حرب اهلية في لبنان بين المسيحيين والمسلمين هو خير

سيلة لتهديم الكيان وتقويض اركانه ، وخير حافز لفئة معينة للاستنجاد بفرنسا وطلب حمايتها . وانه لمن المؤسف حقاً ان يكون في صفوفنا بعض التجار ، تجار الاديان والوطنية الذين كان همهم الأوحد ان يحققوا للاستعمار اغراضه وان يصبوا الزيت على الفتيل ليشتعل عند اول احتكاك .

هؤلاء التجار التزموا لأسيادهم اضرام النار ، وكانوا حريصين جداً ان يقوموا بالتزاماتهم ، ومن اجل ذاك دأبوا على حبك الفتن في الظلام ، وراحوا في كل مناسبة يشنون حرباً استفزازية كلامية تعلن ابواقها مـــا يلقن المستعمر لهذه الابواق من اضاليل وتضليل، ولكن الشعب المتراص المتكاتف عرف كيف يقابلهم في كل مرة بالسخرية والازدراء والاحتقار .

وقد اخذنا نلاحظ أن مروجي هذه البضاعة بدأوا يختفون عن المسرح السياسي شيئاً فشيئاً ، لانهـــم باتوا يخجلون من وعي الشعب ، من النور الفاضح المسلط على مخازيهم . ولقـــد بدأت قضية استحالة التعايش بين المسيحيين والمسلمين في وطن واحد ، لقد بدأت هذه القضية تدخل في تاريخ الخرافة بعد ان حطم وعي الشعب إرادة الفريقين المعنيين هذا الادعاء المضلل .

ولم لا نقولهـــا بصراحة ان التعايش السلمي بين المسيحيـــة والاسلام ، هذا التعايش القائم منذ نشوء الاسلام ، اصبح في لبنان ضرورة كيانية ملحة لبقاء هذا البلد واستمراره . وهل يعيش الطائر بجناح واحد وهل يحيا الانسان برئة واحدة ؟

في كل يوم يقف اكثر من رئيس ديني مسيحي ليعلن للعالم حقيقة هذا التعايش وفي كل يوم يقف اكثر من رئيس ديني مسلم ليؤكد للملأ ان هذا التعايش لا يمكن ان يؤثر فيه دس ولا تضليل، ولكن الاستعمار لا يكل ولا يمل، انه يؤمن باخلاص فئة ضئيلة من المأجورين ، ويعتقد ان باستطاعة هـــذه الفئة ان تحقق له اغراضه وان توصله الى غاياته .

ولكن الاستعمار اصبح من البلاهة والخرف، وقصور التفكير وبلادة الذهن لدرجة تحمل فعلاً على الضحك والسخرية، لانه اغفل عامل الوعي ونسي ان كل لبناني اصبح يعرف تمام المعرفة ماذا تعني دعايات الاجنبي وانه امسى يعرف تماماً ان تحريض فئة على فئة لا يستفيد منه الا المحرض.

لقد صار بامكان اللبناني ان يستخدم معرفته للتوصل الى حقيقة الامور وجوهرها، وصار بامكانه ان يميز الغث من السمين والحق من الباطل.

لقد تهدم جدار الرعب القائم بينه وبين جيرانه العرب، واكتشف اللبناني ان المسلم في الجزيرة العربية مثلا او في مصر او في العراق او في سورية او في الاردن ليس الا اخاً له، يفتح له صدره، ويقف الى جانبه ليشد ازره عندما تدعو الحاجة، وان يفتح له فوق ذلك صدر بلاده يسرح فيها ويمرح، ويشارك في خيراتها ويعمل على ازدهارها ويسهم في تطويرها وانهاضها. ولم يعد يرى فيه بالتالي غولاً يستعد لالتهامه كما تصوره الدعاية الاستعمارية، ولم يعد يرى في جاره المسلم.. جاره في بلده؛ قبضة مهددة تهم بالانقضاض عليه في اية لحظة لتؤدي به ولتقضي عليه وعلى كيانه الوطني.

لاحاجة لاثبات الاخوة :

اذا حاولت ان اعدد المواقف التاريخية والازمات التى مرت بهذا البلد واثبتت متانة الوحدة بين ابنائه، وروح الاخوة بين طوائفه والتعاون المثمر بين عقائده اذا حاولت ذلك، فانني لا استطيع احصاء تلك المواقف، واذا اردت ان اعدّد المحاولات اليائسة الفاشلة التي لجأ اليها الاجنبي وما يزال ليجعل من الطائفية مرتكزاً له في بلادنا، واذا اردت ان اعدّدها اعوزتني المجلدات، لان للاستعمار في بلادنا كل يوم محاولة، واعتقد انه قد آن للاستعمار ان يفهم ان المسيحية والاسلام كديانتين سماويتين ليس بينهما اي خلاف أو صراع، فالركائز الاساسية التي تقوم

عليها احداثهـا هي الركائز الاساسية التي تقوم عليها الاخرى ، ان الجوهر واحد والمثل واحد والغاية واحدة .

وكما فوتت وحدتنا بالماضي على المستعمر اغراضه واطماعه ، فان هذه الوحدة بالذات هي التي تفوت عليه اليوم ما يؤمل .

وحدة الوطن :

لقد آمنا جميعاً بوحدة هذا الوطن ضد الخطر الاجنبي ، وضد الخطر الذي يجثم على صدرنا الجنوبية ... ضد اسرائيل التي تترقب الفرص السانحة لتنقض على هذا البلد الآمن وعلى غيره من البلدان العربيـة ، فتحقق احلامها في مُلك يشمل النيل والفرات ، وتحقق اغراض المستعمر كقاعدة استعمارية في قلب منطقة الشرق الاوسط قاعدة ينطلق منها الى دول المنطقة بأسرها ليتحكم في مصائر شعوبها ، ويمتص خيراتها ويستغل الطاقات الخيرة الكامنة في ارضها .

لقد آمنا بوحدة هذا الوطن كجزء من شعب عربي كبير ، تـآلف فيه المسيحيون والمسلمون ، وربطتهم عرى اخوة عريقة عبر التاريخ ، وصهرتهم آلام واحدة ، وجمعهم ماض وتاريخ وحياة مشتركة ، ويجمعهم مستقبل واحد وآمال واحدة ومصير واحد .

آمنا بوحدة هذا الوطن ، بتآلف طوائفه ونحله من أجل غد زاهر آمن لابنائنا جميعاً ومستقبل مجيد لأجيالنا الطالعة .

ان التعايش السامي بين المسيحيين والمسلمين في لبنان فضلا عن كونه واقعـاً ملموساً منذ اقدم الأجيال ، وحقيقة لا ينكرها الا مكابر ، فانه ضرورة كينونة ، ضرورة من اجل المثل العليا التي نؤمن بها جميعاً ، من اجل الأهداف المشتركة التي نؤمن بها جميعاً وهي الطاقة التي تمنح هذا البلد قوة الاستمرار ، وهي الرئة التي يتنفس بها ويعيش . فاذا لم تكن وحدة اللبنانيين من أجل جميع هذه المثل فلتكن على الاقل من اجل بقاء لبنان واستمراره .

هذا هو منطق الواقع والتاريخ ، في ضرورة التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى في هذا البلد الحبيب . فهل آن لنا ان نسمع كلمة الدين الخالص ، كلمة التشريعات المذهبية الصرف ، كلمة الاسلام والمسيحية في إثبات هذا التعايش ، وتيسير اسبابه وإزالة كل العقبات ، التي يتوهم المغرضون والجاهلون ، انها تقوم في طريقه .

هذا صوت المسيحية الحبيب ، يطرق اسماع الدنيا كلها بترانيم المحبة ، ويجعل شعار اتباعه الرفق والرأفة ، وتثور آلام نبيه العظيم عليه السلام،من اجل حمامة واحدة ؛ ويبسط كف الصفح للمسيء فضلا عن المحسن ، حين يقول : « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » .

ويشغل كل انسان بعيبه حتى لا يأخذه الغرور فيتطاول على غيره ولو كان جديراً بأن يتطاول عليه !

ثم ان هناك موقفاً لروح الله المسيح عليه السلام حين اراد بعض اصحابه ان يرجم امرأة زانية فقال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها » فكف الناس ايديهم عنها .

ان ديناً هذا شأنه مع الخصوم وجيران السوء لا يمكن ان يرضى لابنائه ان تضطرب معيشتهم مع اخوانهم واحبابهم المسلمين .

اما صوت الاسلام الخالص فهو حقيقة التعايش السلمي بذاتها ، وهو الضمانات الكفيلة بامتداد طريقة رحبة فسيحة معبدة ؛ لا تعرف العقبات ولا تعرف المشكلة حتى تُقدم لها العلاج فالاسلام يقرر الا إكراه في الدين ، والرسول العظيم يكرم اضيافه من نصارى الحبشة حتى يقوم بنفسه على خدمتهم وتقديم الطعام اليهم ، وعمر بن الخطاب تحضره الصلاة امام كنيسة القيامة فيخرج للصلاة بعيداً عنها رعاية لشعور النصارى وخشية ان يغلبهم عليها المسلمون وهم في أوج الظفر

والانتصار ، والقرآن الكريم يضع المعابد على اختلاف اديانها في مستوى واحد من الاحترام، ويبلغ من مجاملته للأديان السماوية ان يقدم معابدها على معابده في نسق الآية الكريمة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .

الا يحق لنا ان نقول ان الاسلام يتعصب لعقيدة المسيحية اكثر مما يتعصب لحماية اتباعه المسلمين؟ فهل لمكابر بعد ذلك كله ان يزعم ان اختلاف الدينين مانع من التعايش السلمي بين الطائفتين؟ .. « كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً »

واخيراً فلتنحن الرؤوس ولتخشع القلوب لصوت الوحدة الدينيــة والاخوة الاعتقادية بين الأديان السماوية جميعاً تنطلق به الآية الكريمة :

« شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .